07-12-2014

الشيخ جمال الدين سيروان

فيما يجب على الأمير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمد وعلى آل بيته الأطهار وعلى صحابته الأبرار وعمن سار على دربهم في هذه الدار، اللهم إنا نسألك يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين أن تمنَّ علينا بما تمنُّ به على عبادك المقربين، اللهم إنا عبادك أبناء عبادك أبناء إمائك نواصينا بيدك ماضٍ فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم لك سميت به نفسك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أو أنزلته في كتابك أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب غمومنا ونصرة ديننا وهلاك أعدائنا اللهم يسر القرآن إلى قلوبنا اللهم اجعل القرآن سبيلنا إليك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم يا أكرم الأكرمين يا أرحم الراحمين جئناك في هذه الساعة تائبين، اللهم ربنا اقبل توبتنا واغسل حوبتنا واغفر ذنبنا إنك أنت أرحم الراحمين، اللهم يا قابل التائبين اقبل توبتنا اقبل توبتنا يا أكرم الأكرمين تبنا بين يديك اجعلها توبةً نصوحًا يا أرحم الراحمين، اللهم اقبلنا مع التائبين المطهّرين برحمتك يا أكرم الأكرمين، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا، إنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير، اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبيدك ذوي الخطر العظيم، ارحم عبيدك ذوي الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين برحمتك إنك أنت أكرم الأكرمين، ارحمنا ربنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فإنك علينا قادر، الطف بنا فيما جرت به التقادير، دبّر لنا فإنا لا نحسن التدبير، خذ بأيدينا إليك، دلنا بك عليك لا تقطعنا عنك بقواطع الذنوب، لا تحجبنا عنك بقبائح العيوب، يا غنيًا عن التفسير يا من عليه العسير يسير نشكو إليك ما لا يخفى عليك اللهم إنا نشكو إليك قسوة قلوبنا، وكثرة ذنوبنا وعظم أوزارنا يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين، اغفر اللهم لنا ذنوبنا كلها قديمها وحديثها، صغيرها وكبيرها، سرها وجهرها، أولها وآخرها، عمدها وخطأها، دقها وجلها، حتى لا يبقى علينا ذنب برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم واجعلنا ممن قلت فيهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. ربنا نضّر وجوهنا بالنظر إلى وجهك الكريم، نضّر وجوهنا بالنظر إلى وجهك الكريم، وارزقنا يا ربنا شفاعة نبينا العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير، اغفر اللهم لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولأزواجنا ولأولادنا ولذرارينا ولأشياخنا ولذوي الحقوق علينا ولإخواننا الحاضرين والغائبين ووالديهم وللمسلمين أجمعين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الأحبة الكرام، أحباب النبي الحبيب عليه الصلاة السلام أنتم الذين يجمعكم حبه، وتأتلف قلوبكم على منهجه، وتتوضح في عقولكم آيات فضل الله تعالى على رسولكم الأعظم، الذي جعله منقذ الإنسانية، ورسول البشرية، وحامل هدي الله تعالى إلى خلقه، فهو الرسول الأعظم ﷺ، الذي اكتنز الله تعالى فيه، ما تفرَّق في سواه من الأنبياء والمرسلين، فالله جل وعز إنما جهز النبي ﷺ بفضله، وإنما حباه من عطائه، وإنما مَنَّ عليه سبحانه وتعالى فجعله سيد خلقه، وجعله رحمةً للعالمين أجمعين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. فأمة سيدُها، ورئيسها، ورسولها، وعظيمها، وقائدها، رسول الله، هل ينبغي لها أن تترك هذا المنهج؟ أمة سودها الله تعالى ورفع قدرها، فجعلها تابعة لهذا القائد الأعظم محمد ﷺ، هل ينبغي لها أن تولي ظهرها إلى هذا الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام؟ أمة شرفها الله تعالى فجعلها خير الأمم، إذا اتبعت منهجه، فهل يليق بها أن تُعرِض عن هذا المنهج، لمجرد بعض من الضلالات التي تُنشر؟ أو من الغِيَر التي تقوم؟ أو الادعاءات التي تظهر؟ أو الفتن التي تبرز؟ أينبغي لأمة شرفها الله بهذا الشرف، وأعطاها الله تعالى أملًا لا يمكن إلا أن يُحقّق؛ لأن الله تعالى إنما ذكر لنا عن أولئك، عن أهل الأخدود، ماذا ذكر الله تعالى عنهم؟ ذكر عن الذين فتنوهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ماذا سماه القرآن؟ ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾. فوز كبير وعده الله تعالى لأولئك وشرفهم وأعطاهم، وسجّل الله عز وجل خطاهم في كتابه الكريم، ليكونوا مثلًا أعلى للمؤمنين، وخاصةً في مثل هذه الأيام التي اِدْلَهَمَّتْ فيها الخطوب، واشتدَّت فيها الكروب، وعظمت فيها الذنوب، وأعرض الناس فيها عن ربهم سبحانه وتعالى، ولم يدخروا جهدًا بشدّة الإعراض عن الله، اشتدت الكروب على الأمة، مما دعا أن يكون هناك تفلت من كثير من الناس، أو قلة ليس عندنا إحصاء، ولكننا نرى بأن هذه الأمة ينبغي أن تعود إلى رشدها، وأن تفكر في أمرها، صحيح أن هناك كثيرًا من الخطايا قد وقعت، وأن كثيرًا من الانحرافات الفكرية قد قامت، كل ذلك ينبغي أن يُصحح، ولكنه من خلال قلوب دافئة، قلوب مؤمنة، قلوب طرية ندية، قلوب محبة لربها، مقبلة على خالقها، متذوقة نِعم الله عليها، عارفة بأن الله تعالى قد أعطاها هذه النعمة الكبرى، ومَنَّ عليها برسولها الأعظم عليه الصلاة وأتم السلام.

قدّمت هذه المقدمة بين يدي مقدمة سابقة في الدرس المنصرم، حيث تحدثنا عن مقدمة لِما سنتحدث عنه فيما يجب على الأمير، وقلنا بأن هناك اصطلاحات أحدثت لغطًا ذهنيًا، وجعلت كثيرًا من التشويش الفكري، وأُصْبِغَ عليها بعضًا من الأحكام الفقهية، التي دعت إلى كثير من الاضطرابات التي نرى آثارها واقعة في مجتمعنا الإسلامي، إذن لا بد من تحرير المصطلح، وألا تقودنا المصطلحات على غير رشد، وألا تدفعنا المصطلحات من غير وعي، بل لا بد من توظيف المصطلح مع غايته، بل لا بد من توظيف المصطلح مع رشده، بل لا بد من توظيف المصطلح مع مقصده الشرعي الذي جاء به النبي ﷺ، فلما ذكرنا مثلًا عن طاعة الأمير، فطاعة الأمير واجبة فيما لو كانت هذه الطاعة على المنهج الذي ذكره الله عز وجل، لأن الأصل في هذا المنهج حرية، كرامة، إنسانية جعلها الله تعالى لبوسًا لهذا الدين، فهذا الدين جاء ليحرر الإنسان، جاء لأجل أن يكون هناك حوار بين الناس بعضهم مع بعض، لذلك فرق يا أحبتي بين الأستاذ والشيخ، وبين الداعية إلى الله، الأستاذ، المعلم، الشيخ، له أن يكون قائمًا بشيء من حزم، أو بأستذة، أو بفرض رأي من خلال ما يعلم، لأنه عالم، ولأن التلميذ قد قام بينه وبين أستاذه عقد على أن يعلِّمه، لذلك لما أراد المعلِّم أن يعلم موسى عليه السلام وكان أدنى منه رتبة، ولكن رضي التلميذ أن يكون الخضر معلمه، قام عقد بين اثنين، بين أستاذ وبين تلميذ، فهذا العقد بالتراضي ما بين الفريقين، فهذا أمر يختلف عن الدعوة إلى الله، إن من أشنع الطرائق التي يستعملها الدعاة اليوم، إنما هي قضية الأستذة، وفرض الرأي، والتعالي على المخاطَب، إن الداعية ينبغي أن يكون عنده شركة، لأن الدعوة حوار، القرآن قد قال لنا: إن هناك فرقًا ما بين تلمذة موسى على الخضر، وما بين الحوار بين اثنين في قضية الدعوة إلى الله، فقال الله تعالى حتى مع من لم يؤمن بالإسلام: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. هذه قضية حوارية، فيبقى هناك ندّية في البحث، هذا يطرح رأيًا وهذا يطرح آخر، فالداعية ينبغي أن يقيم عقد شركة بينه وبين الآخر، فهو والآخر على حد سواء في البحث، بمعزل عن أن الداعية إنما يؤمن بالله سبحانه، وعنده حقائق الإسلام، وعنده تجليات القرآن، ولكن ما ينبغي له أستذة، يبرزها على من يدعوه إلى هذا الدين، إنما يدعو بالتي هي أحسن، كما كان النبي ﷺ يدعو، هكذا دعوة الإسلام، اليوم نصاب بدعاة عندهم مرض التعالي، عندهم مرض الإملاء، إنه يغلق، أنه يريد أن يقول لمن يدعوه إلى الإسلام أنا أستاذك، لست أستاذه، أنت تبلّغ، كما بلغك رسولك الأعظم ﷺ، الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أستاذ البشرية، وهو سيد الخلق، ومع ذلك لمّا أراد أن يبلغ، لم يكن مقامه مقام المعلم، إنما هو مقام المبلغ والمحاور، لذلك لما وقف في أول بلاغ بلغه لقومه، ماذا قال لهم عليه الصلاة والسلام؟ "ماذا لو أخبرتكم بأن خيلًا في ظهر هذا الوادي تريد أن تُغِيْر عليكم أكنتم مصدقي؟" قالوا: نعم مصدوقك. إذن أنا رسول الله تعالى إليكم" وأقام الحوار عليه الصلاة والسلام على مدار ثلاثة عشر عامًا في مكة، لمّا عيَّ أمره في مكة انتقل إلى الطائف، لما سُدَّ عليه الباب أرسل ﷺ محاورين، أرسل في الرحلتين إلى الحبشة، هاتان الرحلتان رحلتا حوار، لأن النبي ﷺ ماذا قال؟ قال: "إما يؤيد أن تكونوا متحاورين" وأرسل الناس الذين عندهم قدرة الحوار، انتخب سيدنا جعفر رضي الله تعالى عنه، لأن جعفر يجيد الحوار، ويجيد الأخذ والرد، وسلّحه رسول الله عليه الصلاة والسلام بالأفكار، ودعاه لأجل أن يحاور، وقال هناك مناخ مناسب لهذا الحوار، إنكم تذهبون إلى أرض فيها ملك لا يُظلَم عنده أحد، إذن أرسل رسول الله عليه الصلاة والسلام أصحابه الكرام لا ليكونوا أساتذة، نحن دائمًا نقول في أنا يعني كنت أقولها وأعتقد أن علينا أن نعدّل، أن يعني الصحابة كانوا أساتذة العالم، نعم أساتذة، لكن نحن لمّا نذهب للدعوة لا بطريق الأستذة، إنما بطريق الحوار، بطريق عقد، الله تعالى ذكر لكم أنتم في سورة المائدة، بدأ سورة المائدة بماذا قال الله تعالى؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. العقود مبناها على العدل، العقود مبناها العدل، العدل ندّية ما بين المتعاقدين، وأي أمر يفضي إلى غرر بحيث يمكن أن يأخذ من حق واحد من المتعاقدين يكون العقد في ذلك باطلًا، في ندّية، ولذلك لما يكون بينك وبين آخر عقد حوار، ينبغي أن يكون بينك وبينه، نِدّية؟ أم في أعلى

وأخفض؟ ندية، هو ما اعترف فيك على أنك أستاذه، ولا اعترف فيك على أنك معلمه، ولا اعترف فيك بأنك تملك حقيقةً غير التي يملكها، فكيف تفرض نفسك بأنك أستاذه؟ إذن لمّا تريد أن تحاور، حتى بين أب وابنه، وحتى بين زوج وزوجته، وحتى بين شيخ وتلميذه في الحوار، فقضية الحوار، كان شيخنا الشيخ عبد الكريم رضي الله تعالى عنه، يقول لنا إذا كانت القضية علمية حوارية فحاوروني حتى تأتيكم القناعة، وإذا كانت قضية تربوية، في قضية تربوية يعلم فيها الشيخ المربّي ما لا يعلمه المربَّى، ويعلم خفاياها بما ما لا يدركه المربَّى، فحينئذٍ دع هذا الأمر التربوي للمربي، أما قضية الحوار في العلم والفكر والمعرفة، ذكرت لكم سابقًا أنه مثلًا الشيخ نديم الجسر -يرحمه الله تعالى- لمّا صنف قصة الإيمان، لماذا صنفها؟ جعل من تلميذه اسمًا وهو حيران ابن الأضعف للحوار الأخذ والرد، لاحظتم؟ لذلك قضية مهمة جدًا اليوم في الدعاة إلى الله، وخاصة الذين يباشرون الدعوة مع غير المسلمين، يخاطبونهم على أنهم الأدنى، وأنهم الجاهلون، وأنهم لا يفقهون، ليس هكذا يكون الحوار، لمّا يصير تلميذًا، وهو يعترف بأن عليه أن يأخذ ممن عنده معلومة ليست لديه، حينئذٍ قام عقد آخر، كما جعله القرآن عقدًا بين سيدنا موسى وبين الخضر، الخضر حط شروط في العقد، قال له بدك تتعاقد معي على أنه والله أنا تمشي معي، هذي شروطي، وضعها الشروط الخضر عليه السلام ولا لا؟ وسيدنا موسى عليه السلام قَبِل بالشروط؟ قبل بالشروط، لما أخلَّ سيدنا موسى بالشروط ماذا قال له الخضر؟ مع السلامة انتهت الحكاية، هون في أستاذ وتلميذ، أما لما يكون الأمر أمر حوار، فيبقى الحوار، لذلك لمّا جاء سيدنا جعفر رضي الله تعالى عنه مع النجاشي رضي الله تعالى عنه أصحمة، وقام الحوار، الحوار ما بين سيدنا جعفر وما بين من؟ عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، وقام الحوار، وأدلى سيدنا جعفر رضي الله تعالى عنه بدلوه، على أن هناك تساويًا في المتباحثين والمتحاورين، فلمّا تكون الدعوة إلى الله بهذه الطريقة، سواء كانت الدعوة إلى المسلمين ولا إلى غير المسلمين عمومًا، طالما أنها دعوة، فالدعوة ليست أستذة، إنما الأستذة وإنما التلمذة تكون ما بين متعاقدين في متعلم ومعلم، فالدعوة تحتاج إلى هذه المرونة، هذه مرونة لو ملكناها لكان بيننا وبين الآخرين فسحة في البحث، فيكون عندنا صدر واسع، ولا يكون عندنا ضيق وتبرُّم، أيّ من الأبحاث فليطرحها هذا الباحث، لو كان أي بحث فليبحث ماذا يريد، لأنه باحث، كما قلنا لكم بالقرآن الكريم كما قال الله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾. قدَّموا أنفسهم عليهم، لأني أنا أعلم لو أن الإنسان المؤمن يقولها يقينًا، بأنه قد يكون أولئك على هدى، وأننا نحن على ضلال، ماذا يكون كافرًا ولا مؤمنًا؟ يكون كافرًا، لكن لمّا كانت القضية حوارية، فقال: ضعوا على المائدة البحث، وإنا أو إياكم تحطوها افتراضات ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. ضعوا البحث على الحوار، نحن نبحث بحثنا، ونحن متسلحون بعقل ناضج، وفهم واعٍ، وأدلة واضحة نطرحها بين أيديكم، نتداولها فيما بيننا، لعل الله تعالى يشرح صدوركم إلى ذلك، فإن آمنتم فبها ونعمة، وإن لم تؤمنوا فحريتكم التي جعلها الله تعالى مِلك أيديكم، لذلك الله سبحانه وتعالى إنما جعل هذا الصراع قائمًا في نفسك، ثم جعل هذا الصراع قائمًا إلى يوم القيامة، ولا يمكن أن نتصور يومًا بأن يجعل الله تعالى هذا المجتمع الإنساني مجتمعًا ملائكيًا خاليًا من الصراع، الصراع قائمٌ إلى قيام الساعة، بدءًا من نفسك وانتهاءً بالمجتمع الإنساني كله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ ، إذن إنها قضية كما قالها القرآن: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. إذن قضية مستمرة، فأنت تصوّر أن يكون أمر الإنسانية للإسلام فقط، هذا خطأ لا تتصور ذلك، لا بد أن يكون هناك صراع بين خير وشر، وبين حق وباطل، وبين نور وظلام، فطالما أن هذا الأمر سيقوم ويدوم ولن ينتهي، إنما هي مداولات كما قالها القرآن: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. فأيام يملك فيها المؤمنون أمر تسيير دفّة البشرية حين يكونون مع المنهج، وأيام يدال عليهم حين يكونون مقصرين عن أداء هذه المهمة، إذن إنما هي مداولات بين خير وشر، يطغى الشر حيث يغيب الخير، ويكون الخير ظاهرًا بارزًا، منيرًا مشرقًا، حيث يكون مستعملًا وسائله، إذن قضية واضحة في مثل هذا الصدد، وخاصةً ونحن أمام هذه المصطلحات المُرّة الصعبة التي ذكرت بعضًا منها في الدرس المنصرم، والتي ينبغي أن ننتبه إليها في مثل هذا الصدد بما سنذكره من أحاديث النبي ﷺ في هذا اليوم.

لما يقول النبي ﷺ: فيما يجب على الأمير، أول آية يذكرها القرآن الكريم يقول يعني صاحب الكتاب -يرحمه الله تعالى- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. إذن هذا ما يأمر الله سبحانه وتعالى به، الله تعالى يأمر بهذه الأوامر وينهى عن هذه النواهي، فأمُّ الأوامر وأصلها، وأساسها، وأرومتها، وسندها، إنما هو العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾. فالعدل هو الأساس لكل القيم، والمنطَلق لشتّى الفضائل، فلا فضيلة من غير عدل، ولا مكرمة من غير عدل، ولا عطاء من غير عدل، لأن العدل هو الذي يستطيع به أن يكون يحمل الميزان الدقيق، ميزان الصيدلي، ميزان الصيرفي هو العدل، فالعدل هو الذي لا يمكن أن يكون فيه إنسان على إنسان حقٌ إطلاقًا عدل، العدل إنما يكون بتحديد المواقف ضمن ضوابط تامة، لذلك الله تعالى

قال: ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾. بعد العدل يكون الإحسان، الإحسان تجاوز، ولكنه بعد أن نال حقه في العدل، فلا ظلم لا ضيم، الإنسان يبدأ بالعدل من نفسه على نفسه، لأن الإنسان يكون أشد الناس ظلمًا لنفسه يوم يرديها في نار الجحيم، يوم يرديها في الشهوات والنزوات، يوم يرديها في المخالفات، فهذا إنسان قد ظلم نفسه ظلمًا كبيرا، إذن حين يقيم العدل على نفسه، لذلك المصطفى ﷺ لمّا قال عن الإنسان: "بحسب ابن آدم لُقيمات يُقِمْنَ صُلْبَه، ثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسه" هذا عدل، عدل لهذا البدن، هذا البدن يحتاج لهذا العدل، لأنه إن لم يعدل به فقد فتك به، وقد أردى بدنه إلى الجحيم في حياته الدنيا، لذلك الله سبحانه وتعالى أمرنا بالعدل، فالعدل هو الأساس، فلمّا يكون هناك أمير فينبغي أن يتحلى بأول ما ينبغي أن يكون فيه من صفة، وهي صفة العدل، فإذا زالت تلك الصفة عنه، وهو الذي ينبغي أن تكون ظاهرة فيه أكثر من غيره، لأنه تحمل أمر العامة، فالإنسان إن ظلم نفسه فينعكس ظلمه عليه، ولكنَّ الأمير إن ظلم فإنما ينعكس ظلمه على المجتمع، ولذلك النبي ﷺ سيؤصل لنا هذه القضية في مثل هذه المعايير ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. وإن أول إحسان بالعدل إنما يكون لذي القربى، فمن لم يكن محسنًا لذوي قرباه أفيكون محسنًا لسواهم؟ لا يمكن إطلاقًا، لذلك إذا بدأ العدل فانطلق إلى الإحسان وبدأ بإيتاء ذي القربى، ثم انساح في المجتمع وانداح، حتى ظهرت منه الآثار الطيبة المباركة ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾. وكل ما يكون متجاوزًا للحد فهو فاحش، سواء باللفظ أو بالفعل، فإن الإنسان قد يفحش في القول، وقد يفحش باليد بالظلم، فإن الفحش إنما يكون بكل تصور يكون زائدًا عمّا ينبغي، لذلك نهى ربنا تعالى عن الفحشاء، نهى عن منكر القول وفعل القول والفعل، ثم والبغي على الناس والتسلط عليهم وظلمهم، يعظكم بذلك موعظة طيبة مباركة، اتخذها خطباء الجمعة آية يقولونها في نهاية الخطب، ولكنها آية غائبة، آية تمضي على الأذهان وكأنها عبارة عن قصيدة ينشدونها دون وعي، يعظكم، والعجيب أن قال القرآن: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. وإذا بكم نائمون ناشون، ولعلكم تتذكرون لعلكم تنسون، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فالقرآن ما لم يكن مفعلًا لطاقات الأمة، ومخرِجًا كوامن ما لديها من إمكانيات، لا يكون الكتاب الذي أنزله الله تعالى عليهم لأجل أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، هذا القرآن جاء ليخرجنا من الظلمات إلى النور، ليخرجنا من ظلمة القبور إلى علائم النور في هذه الحياة الدنيا، التي جعلها الله تعالى إعمارًا لنا، نُعمِرها حتى نكون سادة أرض، فلا نكون سادة أرض بادعاء، نحن نريد أن نكون سادة الأرض بمجرد الانتماء لهذا الدين من حيث طقوسه، ومن حيث ألفاظه، لا نريد أن نكون سادة دين أراد أن يحقق للبشرية العدل ويحقق لها الآمن، النبي ﷺ لمّا قال لسيدنا عدي بن حاتم: أنت تريد أن تؤمن بهذا الدين؟ "لعلك إنما منعك منها الدخول في هذا الدين، ما ترى من ضعف أهله، هو الذي بعثني بالحق، ليبلغن هذا الأمر إلى القادسية، ويبلغن هذا الأمر إلى اليمن، وليبلغن الأمر إلى بلاد الشام، لعلك إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من فقر أهله، فوالذي بعثني بالحق، إنما سيفيض الله تعالى في أيديهم من المال حتى ينادى عليه فلا يوجد من يأخذه، يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من انزواء شأنه، فوالذي بعثني بالحق لتسيرنَّ الظعينة من القادسية إلى بيت الله الحرام لا تخشى إلا الله والذئب على غنمها" إذن أمن، اقتصاد، قوة عسكرية، إنما قامت من أجل هذا المنهج، النبي ﷺ وعده بهذا الوعد، كأنه يقول للأمة إن هذا الأمر لا يقوم بدون همة، يا أيتها الأمة لا تظني بأنكِ إن اتبعت الطقوس بصلاة وصيام وحج، فقد اكتفيت بذلك، إنها فروض ذاتية لكِ لتخرجكِ لأجل أن تمارسي دورك في بناء الأمة، وبناء الأمة يكون بناء المؤسسات، لذلك قال له بده يكون في عندي مؤسسات، كيف تسير المرأة من العراق، ومن القادسية، ومن بلاد فارس إلى مكة المكرمة لا تخشى إلا الله والذئب على غنمها؟ في أمن اقتصادي، وفي أمن سياسي، وفي أمن عسكري، بس مو الأمن العسكري هذا يلي بنعرفه لا، تبع الشام بس يقولوا أمن العسكري بالشام بكون شيء خطير جدًا، فهناك أمن، وهناك أمن نفسي، أمن نفسي، أمن مجتمعي، أمن خُلقي، تسير الظعينة، لذلك الفقهاء قالوا لنا والله لو أن الظعينة فُرِض عليها الحج ولم تجد محرمًا، فاختلف الفقهاء، فقال الشافعية: يصح - بعضهم- فقال الكرابيسي: يصح أن تذهب وحدها إذا أمنت الطريق. يعني في تصور أن هناك أمن طريق، في أي تصور؟ في صحارى، لا نتصور الوسائل المعاصرة، أنت تتصور بأن هذا الأمن فُرِض في تلك الأجواء، معنى ذلك أن الأمن لا يُفرَض إلا من خلال إيه؟ من خلال منظومة ثقافية، من خلال مجتمع يتداول هذه الأخلاقيات، وتلك المكارم، من خلال مجتمع اكتفى، لذلك قال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يوم أقام العدل، وصار ينادي، صار ينادي عُمّاله، هل من غارم يريد أداء قضاء دينه؟ هل من شاب يريد العفاف؟ فلو نادى اليوم كم نجد من الشباب؟ وكم غارم من الغارمين؟ وكم، وكم، وكم، وكم، وكم؟ إذن لمّا نريد أن نقيم الحدود الإسلامية يا ناس، أقيموا قبلها هذه المنظومة الإسلامية، حينئذٍ أقم الحد، حينئذٍ لما تكون المرأة تمضي ولا تخشى إلا الله والذئب على غنمها، ويأتي من يعتدي عليها، أقِم عليه الحد، لكن تريد إقامة الحد اليوم على بعض ما يفتي به بعض المفتين، اليوم يقول إقامة الحد في هذا المجتمع المنفلت المضطرب، في هذا المجتمع الذي لا يملك قوت نفسه، ولا قوت أولاده، في هذا المجتمع الذي

تفلتت فيه كل القيم، في هذا المجتمع الذي ظلم فيه الناس، كل ذلك تريد أن تقيم الحدود؟ الحدود آخر ما يكون، الحدود تكون نتيجة، نتيجة لمجتمع آمن، لمجتمع مزدهر، سيدنا عمر رضي الله عنه ما أراد أن يقيم الحد لأنه لم يجد بأن الحد قد جاءت ظروفه المناسبة، ولا مكانته في ذلك المقام، فما عطل حدًا، ولكنَّ الحد لم تكن ظروفه مناسبة؛ لأنه لا بد إلا أن يكون مقدمته قائمة حتى نأخذ النتيجة، فقال سيدنا عمر إن المقدمة غير صحيّة، لأنكم أنتم منعتم حقوق هؤلاء الأجراء الفقراء، فكيف تقيمون الحدود عليهم؟ فإذن عام مجاعة، عام سنة، هل هناك مجاعة اليوم؟ سلوا عن الملايين المملينة التي تنتقل في الأرض اليوم من المسلمين، سلوا عن السوريين الذين منعوهم هذه الحُزْبة الدولية المجرمة الظالمة، وتقول والله نحن قطعنا الإعانات عن الذين شُرِّدوا عن إثنى عشر مليون مسلم يشردون في أنحاء الأرض، إذن ويطلع عندنا بعض العلماء بيقولوا لنا والله كمان هدول إذا كان راحوا للبلاد الآن بلاد الكافرة الآن فهم آثمون، يا رجل اتق الله قبل أن تفتي عليك أن يكون عندك شيء من التروي قبل أن تفتي، الناس الآن في مصائب كثيرة ليست كل فتوى في الماضي تُنقَل في الحاضر، لا بد أن تتغير الفتاوى على حسب الوقائع يا أيها الناس، لذلك نحن اليوم، العدل حتى في الفتوى بده عدل، ما هو القضية قضية أنا والله هكذا قال فقهاؤنا السابقون، فقهاؤنا السابقون على الرؤوس وفي العيون وفي ملء القلوب، لكن فقهاؤنا أفتوا ضمن ظروفهم ونحن نفتي ضمن ظروفنا، فهذا من جملة العدل، العدل في الفتوى، العدل في الكلمة، العدل في النظرة، العدل في التعبير، فلذلك الله تعالى قال لنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. في حديث عن النبي ﷺ، بيقول فيه: "إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم أسخياءكم، وأمركم شورى بينكم، فَظَهْرُ الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شِراركم، وأغنياؤكم بُخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها" والمقصود مو هنا إنزال من حق المرأة لا، لأنه النص بده يؤخذ مع باقي النصوص، يعني المقصود أن يكون هناك ما نراه اليوم، من انفلات في الأخلاق، ومن دمار في الأذواق، ومن انحراف خطير جدًا فيما نراه اليوم، أنتم ترون اليوم بأن عارية أو عاهرة أو داعرة ماذا تسمى في المنظمات الدولية؟ تسمى سفيرة النوايا الحسنة، سفيرة النوايا الحسنة، العارية الفاجرة سفيرة نوايا حسنة، إذن يعني صار الأمور لما بقول النبي: "وأموركم إلى نسائكم" من هذا القبيل، مو من قبيل أن المرأة كيان قائم بذاته وهي متماثلة مع الرجل، لكن لمّا يراد أن تكون المرأة لا امرأة ولا رجلًا، إنما هي كيان آخر للفجور في الأرض، فحينئذٍ يكون هذا التحذير الذي يحذرنا من خلاله الرسول عليه الصلاة والسلام، يعطوا لك والله يعني يحطوا لك هادي فلانة، وفلانة، وفلانة، وفلانة، وإلى آخره.. مواهبها عريها، هذه المواهب العظيمة، المواهب العظيمة عُريها، فهذه هي التي تكون لمن؟ والله لتربية الأولاد، والله تكون للحرص على المرضى، والله لا حول ولا قوة إلا بالله، إذن هي تغييرات وتبديلات في المصطلحات.

نعم هنا يقول النبي ﷺ: "ألا كلكم راع؟" بس عند الآية هذي في كلام اقرأه لكم في هذه الآية، هذه الآية النبي ﷺ استخدمها كما ذكرت في الدعوة إلى الله، مع من؟ مع سيد من سادة العرب تسمعون باسمه، وهو أكثم بن صيفي، سيد بني تيم، أكثم ابن صيفي إنما كان سيد العرب، حكيمهم، فيلسوفهم، معمرهم، عاش ما يزيد على مئة وعشرين سنة معمّرًا، هذا أكثم بن صيفي سمع بالرسول عليه الصلاة والسلام رجل حكيم، فأراد أن يذهب للنبي ﷺ ليقيم معه الحوار، فقال له قومه: أنت أسَنُّنا، وأنت حكيمنا، وأنت رئيسنا، فكيف تذهب إليه؟ أرسل إليه من يأتيك بخبره، فانتخب رجلين حكيمين من قومه، وأرسلهما إلى النبي ﷺ، وقال لهما: أوصيكما بأمرين: سلوه من أنت؟ وما هو؟ فلما جاء للنبي ﷺ، قالوا له: من أنت؟ فقال: "أنا محمد بن عبد الله" ﷺ، قالوا له: وما هو؟ قال لهم: "أمّا أنا فعبد الله ورسوله، أما نسبي فمحمد بن عبد الله، وأما مهمتي فعبد الله ورسوله" ثم تلى عليهم هذه الآية وهي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. فقالوا له: أعدها علينا، فأعادها، أعدها علينا حتى نحفظها، فحفظا الآية ورجعا إلى أكثم بن صيفي، فقال لهم: سألتم عنه من أنت؟ قالوا: نعم، سألنا فقال: أما أنا بالنسبة لنسبي فمحمد بن عبدالله، فذهبنا فسألنا عن نسبه فكان من أوسط الناس نسبا، ومن أشرفهم حسبا، فما ادعى ذلك النبي ﷺ، وأمّا ما أنا؟ فأجاب بهذه الآية، فقال: والله إن هذا الرجل يدعوا إلى مكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، يدعو إلى مكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، جدير بي أن أذهب إليه، فانتخب مئة من صحبه، وتوجه إلى رسول الله ﷺ، ولكنَّ الله جل وعز شاء أن يقبضه في الطريق قبل وصوله للرسول ﷺ، ولذلك يُذكَر بأن من سبب نزوله قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. هذا خرج مهاجرًا إلى الله ورسوله وأدركه الموت قبل أن يصل إلى الرسول ﷺ، وجاء المئة وأسلموا بين يدي رسول الله ﷺ طيب.

إذن الرسالة الدعوية يلي بعتها النبي ﷺ لهذا الرجل، والنبي ﷺ في حكمته، والنبي ﷺ في إدارته للحدث رأى بأن أكثم بن الصيفي رجل يحاوَر بهذا القدر، ما أسرف في الكلام معهم، إنما أعطاهم هذا الملخص، أنا محمد بن عبد الله، مهمتي عبد الله الله ورسوله، هذا بياني للناس، هذه دعوتي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. هذي الرسالة لهذا الواعي، لهذا الفيلسوف، لهذا المدرك، لهذا الحكيم، كفته، فإذن عليك وأنت داعية أن تلاحظ هذه الملاحظة، النبي ﷺ هنا ما أعطاهم أستذةً، قال لهم أنا محمد بن عبد الله، والنبي ﷺ هنا بمقامه الشريف يقول من هو عليه الصلاة والسلام في شرفه الذي جعله الله تعالى له، والنبي ﷺ لما قال لما ذكروا له عن مهمته، قال أنا عبد الله ورسوله، قدّم بأنه عبد لله، وأنه رسول أرسله الله تعالى إلى خلقه، إذن لمّا نأخذ هذه الآيات في هذه المعاني، وفي هذه التدبرات، يمكن أن نقرأ أحاديث النبي ﷺ التي سنقرأها في الدرس القادم إن شاء الله بناءً على أننا كان وعدنا أبو ياسر من درسين ماضيين بأنه سيأتينا، لكن يعني يبدو أن هناك خللًا من عند الشيخ أحمد جرى في المواعيد، دكتور أحمد كان مسافرًا فالحق على الدكتور أحمد شبعان، وليس على أبو ياسر، فإذن باعتبار أبو ياسر الله يجزيه الخير اليوم مَنَّ علينا بحضوره الشريف، الكريم ونحن كلنا ذكرنا بأنه نحن يعني نتفيأ ظلال الحبيب عليه الصلاة والسلام ونأوي دوحته الشريفة ﷺ، ونتذوق حلاوة حبه ﷺ، فإذن اليوم نحن مع الحبيب الكريم أبي ياسر، فالآن نؤجل الأحاديث حتى لا نظلمها، وإن شاء الله أتابع البحث بها في درسنا القادم إن شاء الله.

جزاكم الله تعالى خيًرا وبارك فيكم، وإلى حبيبنا الكبير أبي ياسر يرعاه الله، نعم يا سيدي نعم.